أهمية التدخل المبكر في التدريب اللمسي لذوي الإعاقة البصرية

كاميليا الوكيل *

لقد أصبح الاهتمام بالتدريب على المهارات اللمسية من القضايا التربوية المهمة التي تشغل أذهان المتعاملين مع ذوي الاحتياجات الخاصة بوجه عام، والأشخاص من ذوي الإعاقة البصرية بوجه خاص.

حيث إن لها عظيم الأثر في مسار حياة الطفل الكفيف في مراحل عمره الأولى، ولاسيما مرحلة الطفولة المبكرة؛ فتنمي جسور التواصل بينه وبين أسرته، وترفع من مستوى تفاعله مع مجتمعه في عدد من النواحي والسياقات المختلفة. فحاسة اللمس تعتبر نافذة الطفل الكفيف لإدراك العالم من حوله؛ فهو يُحلق بها لجمع واستلام العديد من المعلومات أو للحصول على الخبرات وبناء المفاهيم المعرفية، وتعمل بوصفها وسيطاً يتذوق بها الجمال الخارجي، بالإضافة إلى أنه يعبر بها في كثير من المواقف.

ففي لمسات يده الصغيرة تتجمع له أدوات البحث والاستكشاف اللمسي، وباعتبار أن حاسة اللمس هي الأكثر حساسية بين حواس الطفل، والأكثر نضجاً بينهم منذ لحظة الميلاد، فتكون بهذا بمثابة المستقبلات لاستلام المعارف والمعلومات حول الخصائص اللمسية للأشياء؛ فتعوض بهذا جزءًا كبيراً من الفقد البصري سواء كان كليّاً أو جزئيّاً بطريقة اللمس المحيطي أو التحليلي.

بحيث يتعرف الطفل الكفيف من خلال اللمس على الملمس والوزن والحرارة وعناصر التكوين والشكل وخامات الصنع، بالإضافة إلى معرفة الجوانب الوظيفية لبعض الأدوات، وذلك من خلال مشاركة الطفل في العديد من أنشطة اليديْن وبعض الأجزاء الأخرى من الجسم كمساحات الجلد الواسعة، ويظهر ذلك بوضوح في بعض مستويات اللعب بكل أشكاله التي يقوم بها الأطفال في

* مدرس مساعد بكلية ذوي الاحتياجات الخاصة – جامعة بني سويف.

هذه المرحلة الذهبية من عمرهم، وإن كان لا غنى عن سمة التفرد في أثناء اللعب أو التدريب اللمسي كسمة مميزة لكل طفل كفيف لتنشيط الاستجابات لديه في أثناء مشاركته وتفاعله.

وإن كان التدريب على المهارات اللمسية علماً وفنّاً، فإن هناك دعائم وأداءات لنجاح هذه العملية التدريبية مثل الأداء الحسي اللمسي بمراحله المتعددة، والأداء المعرفي اللمسي بمراحله الارتقائية، والأداء الحركي، والأداء التواصلي، والأداء الحياتي الوظيفي.

ومن هنا تبرز أهمية التحفيز اللمسي بوصفه مرحلة تهيئة للجلد قبل مراحل التدريب اللمسي؛ فهو عبارة عن لمسات واعية بنائية تنشط عضو الإحساس الأول والأكبر في الجسم ألا وهو الجلد؛ فينقل المعلومة الحسية اللمسية للمخ عبر الشبكات العصبية للمخ لمعالجتها والاستفادة منها واستخدامها، سواء باستخدام الأيدي في الرسم والتلوين واللعب، والعزف على بعض الآلات الموسيقية البسيطة، والتعرف على الأسطح والملامس الخارجية لفراء بعض الحيوانات والطيور والزواحف، ومن الضروري أن تصحب تلك الاستخدامات للتحفيز اللمسي محادثة لفظية لزيادة الفهم والحث على التفكير بما يتناسب مع عمر الطفل الكفيف.

وقد تناولت بعض الأدبيات البحثية عدة عوامل تسهم بشكل فعَّال في تحسين مستوى التدريب على المهارات اللمسية، مثل الخصائص النمائية واحتياجات المرحلة العمرية، بالإضافة إلى وجود أي إعاقات حسية أخرى، أو بعض المشكلات الصحية الجلدية المزمنة، وأيضاً استجابة الطفل لمستويات التدريب اللمسي، مع توفير المعينات اللمسية المتخصصة والمتفردة – في بعض الأحيان – لتفرد بعض حالات الأطفال، إلى جانب الدور الرئيس الذي يلعبه الدعم الأسري، مع وجود مختصين في هذا المجال لتطوير المهارات اللمسية وبعض المهارات التعويضية لهم.

فالتدريب اللمسي يمر بأربع مراحل أساسية:

- **المرحلة الأولى:** تهتم بالخصائص اللمسية مثل: الملمس والحرارة ونوعية الأسطح وغيرها من العناصر المميزة.
- **المرحلة الثانية:** تهتم بتشكيل المفاهيم والمعارف مثل المجسات والصور ثلاثية الأبعاد.
- **المرحلة الثالثة:** تهتم بفهم التمثيل البصري للعناصر مثل الخرائط اللمسية، وأشكال وأنواع الخطوط البارزة.
- **المرحلة الرابعة:** تهتم باكتشاف واستخدام الرموز مثل طريقة برايل للقراءة والكتابة.

والتدريب على المهارات اللمسية للأطفال المكفوفين في مرحلة الطفولة المبكرة يضعنا أمام مسئولية التدخل المبكر كطوق نجاة لهم للارتقاء بمستوى هذه المهارات وتقديم نماذج ومعينات حسية مناسبة، إلى جانب مسئولية إعداد كوادر متخصصة في هذا المجال الحيوي، مع ضرورة تثقيف وتوعية المجتمع لتمكين الأطفال من ذوي الإعاقة البصرية من العيش باستقلالية وأمان بما يتناسب مع قدراتهم وتفردهم.